البناء والتزكية

يمكنكم تنزيل الكتاب الذي اخذنا منه هذا الجزء من الرابط التالي :

http://bit.ly/2hTtlPd

عوامل التنقية

هناك ثلاث عوامل للتنقية، لكل منها دوره البارز في توفير حشود عسكرية مطبقة للمنهج الإسلاميّ، وتنقسم بحسب ما تستهدفه إلى ثلاث اقسام :

١- عامل تنقية النفوس، ويتمثّل بالبناء والتزكية .

٢- عامل تنقية المجاميع، ويتمثّل بالغربلة.

٣- عامل تنقية وإصلاح الافعال، ويتمثّل في كثير من الأحيان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتصنيف العوامل السابقة لا يعني انّ كل منها مستقل في وجوده و في تأثيره، وإنما قسمت بهذا الشكل محاولة منّا لاستيعاب توضيح كل منها .

وسنحاول التطرق إلى هذه العوامل بشكل واف إنْ شاء الله، وسيليها مبحث يبين كيفيّة معالجة الإستثناءات .

المبحث الأوَّل
تنقية النفوس بالبناء والتزكية

تعتبر عمليّة البناء والتزكية من الاعمال الرئيسة التي عمل عليها المرسلون والاولياء (صلوات الله عليهم) والمصلحون (رضي الله عنهم)، ويبدو انّها الاصل و الأساس في توفير افراد واعين ومطبقين لشرع الله عزّوجلّ.

وفي الكتاب العزيز: **﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**(البقرة ١٢٩)

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(الجمعة ٢)

ان المنهج الإسلاميّ يستثمر كل الطاقات والإمكانات اللازمة لتوفير عوامل البناء والتزكية، ونحن إذ نتكلم هاهنا عن السبيل للبناء والتزكية فإنّنا نتكلّم عن السبيل العام الأكمل الذي ينبغي توافره لبناء وتزكية العموم، وليس كلامنا عن حالات خاصّة إيجابية -قد يتوقّف عليها تطبيق السبيل العام- أو سلبيّة، وصلت إلى ما وصلت، مع غض النظر عن وجود الطريق (العام) أو عدمه.

عمليّات زرع الشوائب

وقد جرت عمليات تشويب، رُقِّع فيها المنهج الإسلامي بشوائب أُخذت من المناهج البشرية الوضعيّة، فَتكوَّن نتيجةً لذلك مناهج

ترقيعيّة هيجينة تحوي تخبّطات وتناقضات كثيرة، تتفاوت بحسب نوعيّة التشويب وكميّته، وقد ساد إستخدام هذه المناهج في معظم الدول التي تدعّي الألتزام بالمنهج الأسلامي، ما خلّف أظرار كبيرة، ومخاطر قاصمة على المسلمين، وضيّع الكثير من الأهداف التي يبتغي الإسلام أن نصل اليها، ومن تلك الأهداف ماهو مورد بحثنا، أي: البناء والتزكية .

أهميّة البحث

والمأمول من ذكرهذا البحث، هو أنْ يتبيّن بصورة جليّة اهميّة تطبيق المنهج الإسلاميّ وخلوصه من أجل أنْ تتم عملية البناء والتزكية، وبعبارة أخرى أنّ هذا البحث يبين آثار تنقيّة المنهج الإسلامي من الشوائب، على عمليّة تنقيّة النفوس .

وفي ما يأتي جملة من التطبيقات والأمثلة، نستعرضها بشكل عيّنات -أوردناها في المتن أوالهامش- تحاول أن تصف بعض المحاور الأساسيّة لمنهج البناء والتزكيّة العام في المنهج الإسلامي، وبيان بعض ما يميّزه عن المناهج الهجينة، مع الأخذ بنظر الأعتبار عدم تخصّص هذا البحث بالإستقراء الشامل،كونه يُركّز على بيان الملامح العامة، وقد تناولنا فيها أربعة نُظم رئيسية كمحاور للمقارنة؛ النظام التثقيفي، النظام الإصلاحي، نظام توفير الأجواء، نظام القيادة.

أوّلاً: النظام التثقيفي

ألف: النظام التثقيفي في المنهج الاسلامي:

واقع الانسان

انّ هناك رغبات فطرية في الانسان كامنة في كيانه، راسخة في اعماقه، كرغبته في الكمال، أو رغبته في التوصل إلى المنفعة والامن من الضرر، هذه الرغبات تمثّل قوة دافعة للإنسان تتجه بوصلتها بحسب الادراكات العلميّة والإيمانيّة للإنسان، فمتى ما آمن الانسان انّ الامر الفلاني يُقرّبه إلى الكمال، أو يجلب له المنفّعة، تراه ينجذب فطرياً إلى ذلك الامر، ومتى ما آمن انّ في هذا الامر نقص أو ضرر، تراه يسعى لتجنب ذلك.

أساس التوجّيه

ومن هنا فإن عملية التوجيه والتثقيف في الاسلام ترتكز على أساس بناء عقيدة الانسان وبناء منظومته الإيمانية[١]، كي تحدد الاهداف التي تتّجه نحوها بوصلة تلك الرغبات .

فكما انّ الطريقة الأساسية لمنع مجموعة من البادية من شرب ماء نقي بحسب ما تراه العين المجرّدة، لكنه حاوٍ على كائنات قاتلة بحسب الرؤية المجهرية، كما انّ الطريقة الأساسية لمنعهم هو أنْ نحاول إنذارهم بأن نُبيّن لهم هذا الامر بطرق شتى، تجعلهم يؤمنون ويوقنون بواقع تلك البركة المميتة، فإنهم اذا امنوا بهذه الحقيقّة وبهذا الضرر لم يقدموا

١) نعني بالمنظومة الإيمانية للشخص مجموعة الافكار التي يؤمن بها.

على شرب ذلك الماء بسبب تلك الرغبة الفطرية الكامنة في نفوسهم، و لكانوا لنا شاكرين إذ كنا لهم نافعين.

بينما لو سعينا لمنعهم دون أنْ نُبيّن لهم الأمر و نهيئ لهم مقدمات الإيمان و اليقين به، لكان لهم ردة فعل اخرى تنسجم مع اعتقادهم به، ولتصوروا بأننا ضارون، نمنعهم من الماء الذي به ينتفعون! وربما كانوا لنا محاربين!

وكما انّ الطريقة الأساسية لمنع الاطفال من التقرب للقنابل القاتلة -التي قد توجد في المناطق التي كانت فيها حروب- هي أنْ نُبيّن لهم حقيقّة ومخاطر هذه القنابل بالشكل الذي يؤدي إلى اعتقادهم بخطورة التقرب اليها، لأن منعهم منها مع كونهم يجهلون خطورتها قد يحفزهم اكثر على التقرب منها.

كذلك فإن طريقة الاسلام الأساسيّة لجعل ذلك الانسان المنقطع إلى الدنيا -بوصفها اول المطاف وآخره- يسلك السبيل القويم ويتجنب طريق الضلالة هي تبيين الحقائِق الكونيّة الأساسية وما يتفرع عليها، اي: أنْ نُبيّن له من اين مبدئه والى اين منتهاه، وماذا ينتظره من حساب وجزاء أبديٍّ خالد، وما هو السبيل الذي يؤدّي إلى منفعته، وما هي السبل التي فيها هلاكه، وما هي الحقائِق الكائنة التي لابد من حصولها، كالمعاد والحساب والجزاء والثواب والعقاب، وخلاصة الأمر هوأنْ نُبيّن له ما هو كائن، وما ينبغي أنْ يكون.قال تعالى ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾(النحل ٨٩)

وقال تعالى في أمر رسوله صلى الله عليه وآله ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(النحل ٤٤)

وقال الله تعالى ﴿**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ (الحديد ٩)، فكانت تلك البيّنات والعلوم المنتِّجة للإيمان و اليقين العامل الأساسي في تحديد سلوك الانسان المسلم وتوجيه طاقاته. قال تعالى ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾(فاطر ٢٨)

علاقة السلوك بالإيمان

وكما انّ يقين الفرد المسلم بتلك الحقائِق يكون باعثاً للالتزام بالسلوك الإسلاميّ، كذلك فإن عدم التزامه بما يعرفه من السلوك الإسلاميّ دليل على وجود خلل في يقينه بالحقائِق التي بيّنها الإسلام، وبذا يُروى عن علي عليه السلام انّه قال:« **كَذَبَ مَنِ ادَّعَى الْيَقِينَ بِالْبَاقِي وَ هُوَ مُوَاصِلٌ لِلْفَانِي**»[١]، وعنه عليه السلام :«**زُهْدُ الْمَرْءِ فِيمَا يَفْنَى عَلَى قَدْرِ يَقِينِهِ بِمَا يَبْقَى**»[٢]، وايضاً ما روي عنه عليه السلام: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى يَقِينَهُ فِي عَمَلِهِ وَ إِنَّ الْمُنَافِقَ يَرَى شَكَّهُ فِي عَمَلِه**»[٣] فالعمل مرآة الاعتقاد، وبه نرى كفر الكافر ويقين المؤمن.

قيمة العمل بدوافعه

ولم يقتصر الاسلام على إتّخاذ إسلوب تبيين تلك الحقائِق كأساس

---

١) غرر الحكم و درر الكلم، ص ٥٣٨.
٢) غرر الحكم و درر الكلم، ص ٣٩٢.
٣) غرر الحكم و درر الكلم، ص ٢٣٣.

للدافع والحركة بل انّه –في كثير من الاحيان– لم يعطِ قيمة[١] للحركة التي يكون الدافع الأساسي لها غير تلك الحقائِق[٢]، ولذا تراه لا يكتفي بتقسيم الأفراد على أساس العمل الظاهري فقط، بل يغور في عالم القلب، ويأتي بتصنيفات واصطلاحات اخرى، كمصطلح المنافق، والمرائي، و ما شابه ذلك من التصنيفات، التي نتجت من إهتمام المنهج الإسلاميّ بالدافع الذي أدّى إلى السلوك.

نحو الدوافع الأرقى

ولم يكتفي الاسلام –كذلك– بجعل الحقائِق الكونيّة الأساسية هي الدافع بشكل إجمالي بل حاول رفع درجة الانسان أكثر، بجعله يسعى لان تكون بواعث تحريكه ودوافعها أرقى ما يمكن، فمع انّ الاسلام ركز كثيراً على المعاد كأحد الحقائِق الكونيّة الأساسية، و اكثر من ذكر النار وعذابها، والجنة ونعيمها، كونهما اشد احوال المعاد الحسيّة، واكثرها تحفيزاً لعامة النفوس الغليظة ولكنه في الوقت نفسه سعى لرفع مستوى المسلمين نحو الارقى، وذلك بأن تكون بواعث عبادتهم ناشئة من اهليّته سبحانه للعبادة، أو حبّاً له، أو شكراً، بدل أنْ تكون خوفاً من ناره، أو طمعاً في جنته، ومما جاء في ذلك ما روي عن أبي عبد الله (عليه السلام): «إِنَّ الْعُبَّادَ ثَلَاثَةٌ: قَوْمٌ عَبَدُوا اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ خَوْفاً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ وَ قَوْمٌ عَبَدُوا اللهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى طَلَبَ الثَّوَابِ فَتِلْكَ

١) في الكافي عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): «لَا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّة»، وفيه عن رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله): «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ وَ نِيَّةُ الْكَافِرِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِه...»

٢) كما واعطى قيمة سلبية لها في بعض الاحيان.

عِبَادَةُ الْأُجَرَاءِ وَ قَوْمٌ عَبَدُوا اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ حُبّاً لَهُ فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ وَ هِيَ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ»(١).

ومن المؤسف انّ كثيراً ممن جهلوا أهداف الاسلام اهملوا بناء المُجتَمعات على أساس ترسيخ الاعتقاد بتلك البينات، واكتفوا بمحاولة توجيه السلوك الظاهري.

باء: النظام التثقيفي في المناهج الهجينة:

تتفاوت التخبطّات التي ابتلي بها النظام التثقيفي في المناهج الهجينة، فبعضها تُهمل أجزاء كبيرة وأساسية من النظام التثقيفي الإسلامي، وبعضها ترقّعها بشوائب منهجية تعمل على بث أفكار مضادّة لما يبثّه الإسلام.

فمثلا نلاحظ ان بعض الدول –ذات المنهج الترقيعي المتناقض– التي تتبنى الإعتقاد بمعتقدات إسلامية معينّة تضع في وسائلها التدريسية ما يدحض إعتقادها[٢]، كما إنّ بعض الدول تثقّف الى أمر

---

١) الكافي، ج٢، ص ٨٤.

٢) كأن تتبنى العقيدة الإسلامية للنشوء، وتدرّس في مناهجها نضرية دارون كتفسير للنشوء من دون أن تتعرض لدحضها، واقد شَهِدّتُ بعض الدوّل تُدرّس العقيدة الإسلامية للنشوء في مادة تدريس تسمى (الإسلامية)، بينما تدرس نضريّة دارّون –بدون دحضها– في مادة تسمى(الإحياء).

معين بأحد وسائلها وتدعو الى ما يناقضه بوسيلة أخرى[١]، وهكذا.

كما ان بعضها تعمل على تطبيق جُلّ النظام التثقيفي الإسلامي ولكنّها تعارضه بالأنظمة الأخرى-غير المختصّة بالتثقيف- كما سيتبيّن في الآتي.

ثانيا:النظام الإصلاحي

الف : النظام الإصلاحي في المنهج الإسلامي:

إنسجام وتناسب

وكما في النظام التثقيفي الإسلامي، فإن النظام الإصلاحي يتناسب مع الواقع الكوني والإنساني، و من جهة اخرى يتناسب مع باقي الأنظمة التابعة للمنهج الإسلاميّ.

---

١) والأمثلة على ذلك واضحة وكثيرة، كأن تقوم الدولة التي تتبنى منهجاً هجيناً بإنشاء مؤسّسة (كهيئة الإرشاد)، من مهماتها إرشاد الناشئين إلى الألتزام بأوامر الإسلام من حيث العفّة والحجاب ونبذ العلاقات المحرّمة...هذا من جهّة، ومن جهة أخرى تقوم هذه الدولة بأنشاء مؤسسة (كهيئة الإعلام والتلفزيون)تعمل على الترويج الى السفور والانحلال والعلاقات المحرّمة بوسائل قد يكون لها وقع وتأثير أكبر من تلك التي تستخدمها المؤسسة الأولى!.

وقد ينمو الطفل على إلفة ما تبثّه تلك الوسائل من إنحرافات، ويتصور إنّها تمثّل الحالات الصحيحة المقبولة، ثمَّ يتافجئ في ما بعد - من قبل مؤسسة أخرى مثلا- بأن هذه الحالات التي إلِفَها هي الحالات المرفوضة، بينما الحالات التي لم يألفها سابقا هي الحالات الصحيحة المطلوبه!.

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر نموذجاً[١]

وسنأخذ فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أنموذجاً لذكر بعض الإشارات السريعة:

- إذ تتجنّب هذه الفريضة التابعة للنظام الإصلاحي من لا يمتلك أساساً فكرياً يُحدّد له السبيل الصحيح، مع كونه معذوراً في ذلك.

فمثل هذا لا يقال له مباشرةً إفعل أو لا تفعل، بل يتكفّل به النظام الارشادي ليبيّن له الامور أولاً.

- اما بالنسبة لمن انحرف مساره عن دراية وبيّنة أو تقصير، فإن أُولى مراتب هذه الفريضة هي الموعظة -وهي البيان الذي تلين به النفس ويَرُق له القلب- والنصيحة والتذكير بسوء عاقبة هذا الانحراف، وبالتالي تذكيره وتركيز نظره بشكل اكبر على تلك الاضرار، فتُحفَّز فطرته الكامنة بشكل اكبر.

- عند عدم كفاية المرتبة الاولى في الردع، نأتي بمراتب اخرى تشكل-في نفسها- حافزاً رديفاً لتحريك تلك الرغبات الموجودة في الفطرة، بما تمثّله هذه المراتب من ضغوط فردية واجتماعية تسبب اضراراً ملموسة للعاصي، فيكون مجموع ضرر المعصية الذي يؤمن به الفرد مع ضرر الضغط الذي شكّله الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

١) أُخِذَت فحوى آراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-الخمسة الأولى- من بعض الرسائل العمليّة .

حافزاً اكبر لفطرة الأمن من الضرر الكامنة في الإنسان[١] .

- و يشترط في وجوب استخدام أي مرتبة من مراتب هذه الفريضة احتمال التأثير الإيجابي في المقابل، وعدم احتمال التأثير المعاكس، وبذلك فهي لا تستخدم عفوياً من دون تحليل النتائج المترتبة على استخدامها.

- ويستثني المنهج الإسلاميَّ بعض الشروط السابقة في ما يخص بعض الانحرافات التي تُعتبر شديدة الحساسية والخطورة بالمنظور الإسلاميّ من قبيل القتل واسالة الدماء بغير حق، حيث يتم التعامل معها بشكل مختلف.

- هذا وان الأبعاد الإيجابية لهذه الجزئية من النظام الإصلاحي تتجاوزمن تقع عليه المعالجة، لتشمل طول وعرض المجتمع.

ميّزتان

الى هنا، نلاحظ من الكلام السابق عن المنهج الإسلاميّ ما يلي :

أوّلاً: الإنسجام مع الفطرة؛ إذ لم يؤسس للأمر والنهي ابتداء،

---

١) ومن الأمثلة على هذا الاثر ما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم حول حادثة الثلاثة الذين توانوا و تخلّفوا عن الخروج إلى الجهاد في غزوة تبوك، إذ أمر الرسول صلى الله علية واله الناس بمقاطعتهم فلم يعاشرهم أو يكلمهم احد حتى اهليهم، فوصلت شدّة الضغط الإجتماعي الى درجة، حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت، إذ يقول تعالى في وصفهم ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(التوبة ١١٨).

بل استثمر الفطرة الكامنة في الانسان، وانار لها الطريق؛ كي تسلك مسارها الواقعي.

ثانيا: إنسجامه مع الواقع؛ إذْ اعتمد في توجيه الفطرة على حقائِق كونيّة، ولم يصطنع اموراً اعتباريةً ويجعلها أساساً للتحرك .

فالإسلام يبحث عن البناء الفعلي للفرد على وفق الحقائِق الواقعية، ويسعى لرفع درجة معرفته بتلك الحقائِق العاجلة والآجلة، وجعلها هي المحور في حركة الفرد والمجتمع، لا أنْ يتحرّك الفرد على وفق الضغوطات الآنية البسيطة المصطنعة، دون اعتبار لما سيكون -من جزاء- على المدى البعيد، ولذا فإنه إتّخذ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر رديفاً في اغلب حالاته، فجعل الضغط المتولّد منه بمثابة عامل مساعد وعامل وقاية، ولم يجعله أساساً للحركة، بحيث يمتدّ وجودها بوجوده وتزول بزواله، بتعبير آخر اتّخذه سوراً يحمي البناء، ولم يجعله أساساً لذلك البناء، وهذا مائز أساسي بين المنهج الإسلاميّ وبين المناهج الماديّة؛ إذ تعتمد تلك المناهج نظام الثواب و العقاب الذي تضعه أساساً للتوجيه والحركة؛ حيث انّها لا تمتلك رصيداً حقيقياً غيره، وبالتالي فقد يؤدي زوال هذا الأساس إلى انّهدام بنائها كلياً، و تغيّر المسار العملي للفرد و المجتمع جهرياً، بشكل معاكس تماماً وبطاقات انفجارية .

باء: النظام الإصلاحي في المناهج الهجينة:

اما في المناهج الهجينة التي ترقّع من هنا ومن هناك، فإنّ نظامها

الإصلاحي (الجزائي) يتضارب مع النظام التثقيفي، كما و يتضارب مع النظام الإصلاحي الإسلامي.

فأما تضاربه مع النظام الإصلاحي فيبرز في ناحيتين، ألاولى في تحديد دوافع ومنطلقات الأفعال، والثانية في تحديد ألافعال وصلاحيّتها مع غض النظر عن منطلقاتها، وفي مايأتي بيان لذلك:

الأولى: تحديد الدوافع والمنطلقات:

ففي الوقت الذي نرى انّ الجزء المطبّق من النظام التثقيفي -بنزعته الإسلاميّة- يحاول أنْ يكون هو الأساس بما يقدّمه من تصوّرات حول المبدأ والمنتهى، في الوقت ذاته قد نرى انّ النظام الإصلاحي (الجزائي) يأبى أنْ يكون نظاماً رديفاً مساعداً ويحاول أنْ يكون هو الأساس والمنطلق.

والغريب، انّ بعض المعجبين بالتأثيرات التي أحدثتها أنظمة الثواب والعقاب في المناهج البشرية - كالغربية- إستبشروا بإدخال هذه النُظم على المنهج الإسلاميّ وغفلوا عن أنها تتضارب مع النُظم الإسلاميّة؛ لأنها نبتت على جذور مختلفة عن تلك التي نبتت عليها النُظم الإسلاميّة، و استمدّت اطروحتها من واقع مختلف؛ إذ انّها لا تؤمن بجزاء وثواب وعقاب خارج إطار عالم الدنيا، كما وتقصر الجزاء في الحياة الدنيا على بعض الاسباب المادّية الظاهرية، كتلك التي تنشأ منها أو من المجتمع، وبالتالي فهذه المناهج لا تمتلك رصيداً تستطيع أنْ توجّه به الانسان غير الثواب والعقاب الذي تُحدثه في إطار هذا العالم،

لذا فإنها وضعت اهداف وأساليب مناهجها على هذا الأساس، وهي تدفع بإتجاه تعميق هذا الأساس في النفوس .

فحدث التضارب

ومن هنا حدث التضارب بين منهجٍ يسعى بكل امكاناته أنْ يجعل الإيمان بالحقائِق الكونيّة الأصليّة هو المنطلق الأساس، و يحاول ألّا تكون الأنظمة الإصلاحية الدنيوية إلا عاملاً مساعداً رديفاً، وبين منهجٍ صُمِّم على أساس أصالة هذه الأنظمة- الإصلاحية- في تكوين دوافع الحركة .

ولعل ما دفعهم -أي أُولئك المعجبين- إلى قبول إدخال هكذا أنظمة مشوبة هو إهمالهم لبعض النظام التوجيهي التثقيفي، ما أدى إلى ركاكة الأساس، فحاولوا علاج ذلك الخطأ بخطأ اكبر.

ثانيا: تحديد الأفعال وصلاحيتها:

وإذا كان التضارب السابق -مع النظام التثقيفي الإسلامي- قد اقتصر على التضارب في تحديد الدوافع مع وحدة الفعل الظاهري، فإنّ هناك تضارباً آخر، ينتج من الإختلاف في تحديد الفعل الصالح من غيره، إذ يدعوك النظام التثقيفي الى فعلٍ يعاقبك عليه النظام ألأصلاحي (الجزائي)!، او يحدث العكس، بأن ينهاك الأول عن فعل،

ثُمَّ يحاسبك النظام الإصلاحي على عدم إداءه![١].

التضارب بالتشخيص يسبب التضارب في العلاج

وأما تضاربه مع النظام الإصلاحي الإسلامي فهو أيضاً نتيجة للإختلاف في تشخيصهما للإعمال من حيث صلاحها وفسادها، خصوصاً في المستويات التي يصعب ادراكها بالنظرة السطحية الآنية،

ما يؤدي إلى التباين والتضارب في تحديد الجزاء الدنيوي لتلك الاعمال، مما يسبب مشكلة كبيرة اخرى تخلفها المناهج الهجينة .

---

١) في إحدى الدول (العربية) رأيت أحد رجال الأمن المسلمين، مكلف بحماية محلات الخمور من المزعجين الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر!، فهو في حيرة من أمره، ولا يدري أيؤدّي الوظيفة التي يأمره بها جهاز الإرشاد الديني في تلك الدولة، والتي تتمثّل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتثقيف ضد هذه الإنحرافات؟أم يؤدّي الوضيفة التي يأمره بها جهازالأمن، والمتمثّلة بالنهي عن المعروف والأمر بالمنكر، وكف اللسان عن إي أرشاد؟! علماً ان العمل بالوصية التي يأمر بها جهاز الإرشاد يعرّضه للعقوبة وقطع الراتب!، والعمل المتقن بما يأمر به الجهاز ألثاني يؤدّي الى مكافئته !، وهناك مثال مشابه آخر، لرجال أمن يحمون ملاهي الرقص!.

ثالثا :أنظمة توفير الأجواء

ألف: أنظمة توفير الأجواء في المنهج الإسلاميّ:

تناسباً مع واقع الانسان وغرائزه، فإن المنهج الإسلاميّ لا يكتفي بتوفير النظام التثقيفي والنظام الإصلاحي الرديف، بل يساهم في توفير الأجواء التي تساعد على السلوك الذي حث عليه النظام التثقيفي.

فكما انّ الوالد إذا أراد من ولده التفوق في التحصيل الدراسي، يسعى لان يوفّر له جواً مناسباً لذلك ويجنّبه الجو الذي يعيق تفوّقه الدراسي، كذلك فإن النظام الإسلاميّ عندّما يدعو إلى شيء، فإنه -في الحالات المناسبة- يعمل على توفير الجو الذي ينسجم مع ما يدعو اليه، ويجنّب الأجواء التي تعيق ذلك.

باء: أنظمة توفير الأجواء في المناهج الهجينة:

تناسباً مع عشوائية المناهج الهجينة وتناقضاتها، فإنا نراها تحث على أمر وتضع الأجواء التي تُعيق من بلوغ الهدف الذي تحث عليه، كالذي يريد من وَلَده التفوّق في التحصيل الدراسي، ثم يوفّر له الملهّيات التي تصرفه عن الدراسة .

ففي الوقت الذي تحث الأفراد على تكوين الاسرة عبر الطرق الشرعيّة وعدم الانجرار إلى الفساد، فإنها في-الوقت نفسه- توفّر الأجواء التي تؤدي إلى الانحراف عن ذلك السلوك الحسن، وفي الوقت الذي تدعو فيه إلى احترام اموال الاخرين وعدم التعرض لها،

فإنها تقسّم الاموال على الناس بالطريقة التي تؤدي إلى اعطاء البعض اكثر من حقّه وحرمان الآخر من حقه، وهكذا نجد التناقضات تلو التناقضات في هذه المناهج الهجينة .

الفايروس المنهجي

ومن الواضح جلياً انّنا اليوم مخدوعون بهذه المناهج الهجينة التي مزقت المنهج الإسلاميّ تمزيقاً، ورقّعته بمناهج مضادة تحول دون بلوغه اهدافه وغاياته، ثمّ زَعم الذين كان لهم دور في وضعها انّهم فعلوا ذلك اكراماً لنا وخشّية علينا ومحافظة على حرياتنا !

وما اشبه هذه الشوائب بالبرامج الصغيرة التي تُدسّ في أنظمة تشغيل الحواسيب الحديثة كي تُدمّرها ذاتياً أو تعيقها عن اداء عملها، مع كون أغلب تلك الشوائب -والتي يُصطَلَح عليها فايروسات- تحاول الدخول إلى هذه الأنظمة بطرق مخادعة وعجيبة .

ضريبة التطبيق الصحيح

ومن الواضح انّ من يسعى إلى تطبيق المنهج الإسلاميّ والتطهّر من هذه الشوائب سوف توجّه اليه سهام كثيرة من اعداء الإسلام، وسوف تحاك ضدّه المؤامرات، و سيسعون لأن يحولوا بينه وبين تطبيق المنهج الإلهي ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

رابعاً: نظام القيادة

ألف: دفّة القيادة في المنهج الإسلاميّ:

انّ اهم أو من اهم الاصول التي تظهر تناسب وانسجام جزيئات المنهج الإسلاميّ هو اشتراط أنْ تكون دفة القيادة بيد من هو عارف بالمنهج الإسلاميّ عامل على تطبيقه، ويشكّل في بُعده الآخر قدوة وأنموذجاً عمليّاً يجسد الاعتقاد والمنهج؛ إذ كيف يمكن إصلاح المُقاد بقائدٍ يجهل طرق الإصلاح، أوّلا يمتلك مؤهلات تطبيقها.

ان شواهد اصالة العلاقة بين القائد وبين من يقوده لا تخفى على كلّ ذي لبّ، ولذا نرى انّ لتحديد القائد اهمية كبيرة لدى العقلاء؛ إذ يُعدّ عاملاً أساسياً ورئيس في تحديد صلاح الكيان الذي يقوده، أو فساده.

وقد عدّ القرآن الكريم عدم التبليغ بمسألة الولاية –والتي تتضمّن تعيين القيادة– بمنزلة عدم تبليغ الرسالة وما ذاك الا لأثرها العظيم، قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ *وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾(المائدة ٦٧)

وإن جلّ اوكلّ الانحرافات التي حدثت في الامة، أرتبطت نشأتها و سلوكها بمسألة عدم تمكين القيادة المناسبة من مسك دفة الحكم .

الإمام الحسين عليه السلام و اهميّة دور القائد

و روي أنّ الامام الحسين عليه السلام قال: «.. عَلَى الْإِسْلَامِ السَّلَامُ إِذْ قَدْ

بُلِيَتِ الْأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيد..»[1]، وهذا من اروع التعابير التي تبيّن التأثير الذي يكون بين الحاكم والمحكوم، على انّ يزيد -لعنه الله- يُنتج الانحراف، وهو بنفسه نتيجة لإنحرافٍ سابق.

باء: دفّة القيادة في المناهج الهجينة:

إنّ من أغرب تناقضات المناهج الهجينة وأبرزها هي إدعائها بأهمية التزام الأمة بالمنهج الإسلاميّ من جهة، وعدم إشتراط توفّر صفتي العلم والتطبيق لذلك المنهج في شخص من يتسلّم دفّة الحكم والقيادة من جهةٍ أُخرى!

بل انّ هناك مناهج هجينة إشترطت أنْ لا تكون دفّة القيادة بيد من يطبّق أو يسعى لتطبيق المنهج الإسلاميّ، مناديه بضرورة فصل الدين عن الحكم !

فهي أشبه بمن يدَّعي ضرورة أنْ تصل سفينة معينة إلى هدفٍ ما، ثمّ يشترط أنْ يكون قائد السفينة جاهلاً بالمسار-المنهج- الذي يوصل إلى ذلك الهدف! أو تشترط أنْ لا يلتزم قائدها بذلك المسار!

العدو ومحاولة إستغفال المسلمين

وهكذا استغلّ العدو غفلة المسلمين وأسّس للمناهج الهجينة التي تعمل على هدم الاسلام بأيدي المسلمين عبر وضع المعايير المتناقضة الهدامة، ثمّ لقنّها لنا.

فعلى الاسلام السلام إذا ابتُليت الأُمّة بمثل هذه المناهج المتناقضة

---

١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٢٦.

تنخر الكيان الإسلاميّ ذاتياً وتعيق بناء الأفراد وتزكيتهم .

توفر القيادة لا يعني توفر جميع الشروط

ولا يتصور أحد انّ التطبيق الشامل للمنهج الإسلاميّ يتوقف على وجود قائد دون وجود ثلّة مناصرة تُمكّن القائد من إرساء قواعد الاسلام وأنظمته، فلا بد من إيجاد تلك المقدمة الجزئية كي نصل إلى ذلك التطبيق الكلي، وللإسلام اساليبه في كيفية ايجاد المقدمات وفي تحديد الوقت المناسب لتطبيق ذي المقدمات .

خلاصة لبعض الفوارق

وفي ما يلي خلاصة ما نوّد الإشارة اليه من ملامح المنهج الإسلامي والمناهج الهجينة، على انّنا لن نتكلم الا عن بعض المصاديق الشائعة للمناهج الهجينة، بينما الواقع يؤكّد وجود مصاديق أُخَر قد تكون أكثر ضرراً.

المنهج الإسلاميّ:

إنّ المنهج الإسلاميّ يبني الانسان ويسعى لتكامله المنسجم مع الواقع الكوني –واقع الوجود– من خلال مجموعة أنظمة يرفد بعضها بعضا، ويكمل احدها الآخر.

– فمن ناحية يحاول المنهج الإسلاميّ تثقيف الانسان وصناعة أساسه الفكري بناءً على الحقائِق الكونيّة الأساسية، وبأساليب معيّنة تتناسب مع الانسان نفسياً وجسدياً وبطرق تؤدي إلى الاستدامة والتكامل.

– ومن ناحية اخرى نجده يضع نظاماً إصلاحياً رديفاً ينسجم مع النظام التثقيفي، وينسجم مع فطرة الانسان، كنظام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر و نظام الحدود والقصاص .

– ومن ناحية ثالثه يضع النظام الذي من شأنه توفير الأجواء التي تتناسب مع اهدافه وغايته وانظمته الاخرى.

– كما ويجعل دفّة القيادة بيد عارفٍ بالمنهج عاملٍ على تطبيقه، وقدوة في المعرفة والتطبيق، ما يوفّر العامل ألرئيسي في تطبيق انظمة المنهج الأسلامي.

– وهناك نواحي أُخر ليس هاهنا محل ذكرها.

المناهج الهجينة:

واما المناهج الهجينة التي ابتلي بها كثير من المسلمين، فنرى فيها التناقضات تلو التناقضات :

– فمن ناحية قد نرى انّ النظام التثقيفي يدعو إلى اهداف معينة تشابه بعض ما يدعو اليه النظام التثقيفي في المنهج الإسلاميّ.

– ومن ناحية اخرى نرى أنّ نظام الثواب والعقاب والنظام الإصلاحي يهيئ لأمور تناقض ما يسعى اليه النظام التثقيفي[١].

– ومن ناحية ثالثة نجده يحتوي نظاماً يوفر الأجواء التي من شأنها التضاد مع النظام التثقيفي أو النظام الإصلاحي .

– وفوق هذا نجده يضع نظاما يؤدّي إلى أنْ تكون دفة قيادة الامة بيد جاهل بالمنهج الإسلاميّ، أو متقاعس عن تطبيقه، ما قد يُشكّل

١) سيأتي بيان المقصود من هذه العبارات في المرحلة الثالثة.

مانعاً محورياً عن تطبيق أنظمة المنهج الإسلامي .

نتائج إختلافات المنبع

ولو نظرنا الى أهم مميّزات منبع المنهج الإسلامي على منابع المناهج الأخرى لما تعجبنا من رصانة وصفاء الأول، وركاكة وكدر الأُخريات.

منبع المنهج الإسلامي وكماله

- فقد بُنيّ المنهج الإسلامي على خلفيّة المعرفة التامّة للإنسان، في كل نواحيه، نفسيّة او جسديّة،ظاهرة أو باطنة، لكون هذا المنهج شُرِّع مِن قبل صانع الانسان وخالقه، ومن ثمّ فأي جزيئة من جزيئاته تنسجم بشكل كامل مع ما وضِعت له، واعدّت اليه[١].

- كما انّه بني على خلفيّة المعرفة التامة بالواقع الكوني-أي واقع الوجود- سواء في هذه النشأة الدنيوية ام في غيرها؛ لكونه صادر من خالق الوجود، ومن ثمّ فإن الأهداف التي يدعو اليها تنسجم بشكل كامل مع حقيقّة و واقع تلك النشآت الدنيوية أو الاخروية.

- ومن هنا، كان من الطبيعي ايضاً أنْ تكون جزيئات هذا المنهج منسجمة مع جزيئاته الأخرى.

منابع المناهج الوضعيّة(البشرية)وقُصورها

وأما المناهج المتكاثرة التي وضعها الانسان من دون الله تعالى فإنها:

---

١) يُعتمد في إستخدام المصنوعات -كالأجهزة مثلاً- على التعليمات التي تصدر من صانعها، لكونّها تحضى بالدقّة والانسجام الكامل، الناتجين من المعرفة الدقيقة بمصنوعه.

- بُنيت على أساس معلوماتي خاوٍ تنقصه المعرفة بكثير من حقائق الانسان، ذلك المخلوق الذي مازال محيّراً للعلماء، وبالتالي فليس من العجب أنْ يحدث كثير من التضارب وعدم الانسجام بينه وبين ما وضع له.

-كما وتشكو من عدم انسجام ما تدعو اليه مع واقع هذه النشأة (الدنيوية)، فضلا عن النشآت الأُخر، وذلك للجهل بالكثير من الحقائِق الكائنة إنْ لم نقل اكثرها، بل انّ بعض واضعين هذه المناهج قد يجهلون انّ لهذا العالم خالقا، على انّ هذه الحقيقّة هي اوضح حقيقّة كونية، فضلا عن جهلهم بالحقائِق الكونيّة الأُخر، كوجود حياة ابدية، وطبيعة تلك الحياة.

- ومن الطبيعي أن لا يحدث إنسجام كبير بين جزيئات أي من هذه المناهج، وذلك لعدم الادراك الكامل لنتائج كل جزئية، خصوصا على المدى الطويل.

منابع المناهج الهجينة(الترقيعيّة) وتنافرها

أما المناهج الهجينة فإنها بُنيت على أساس متنافر وغيرمنسجم، مرقّع من المنهج الإسلاميّ والمناهج الأخرى،ولذا فهيَ مُبتليّة بجل اوكل المشاكل التي ذكرناها في المناهج البشريّة، بل قد تكون مشاكلها اكثر في بعض الاحيان؛ وذلك لأنها نبتت على إصول مختلفة في الرؤية، ومن هنا فمن الطبيعي ان نجد التضارب الواضح بين جزيئات المنهج على مستوى الاهداف والغايات و النتائج .

خاتمة في البناء والتزكية

إنّ ما ذُكر في هذا البحث من نماذج ومقتطفات هو محاولة للسير في عمليّة البناء والتزكية نحو الآفاق التكامليّة التي يتطلّع إليها الإسلام، وعدم الاكتفاء بالمقدمات ذات الآفاق الضيّقة أو الانكفاء عليها .

كما أنها محاولة لتسليط الضوء على بعض أهم المؤثّرات والمعوّقات السلبية التي زُرعت في مناهجنا؛ لتكون بمنزلة معول هدّام يحول بيننا وبين البناء والتزكية.

من ثمرات البحث

وفضلاً عن الثمرات العامّة التي تترتّب على هذا البحث المقتضب- التي تتجاوز موضوع الكتاب- فإن هناك ثمرتين :

الأولى:تتعلّق بقدرة الأمّة التي تتّخذ الإسلام منهجاً على توليد الحشود العسكرية الإسلامية القادرة على تحقّيق الظفر، وهذه المسألة ناظرة إلى بناء الجزء عبر بناء الكل.

والثانية:تتعلّق بأهمية تطبيق المنهج الإسلامي على الحشود (العسكرية) لتصبح حشوداً زكيّةً ظافرةً[١].

وبتطبيق المفاهيم العامة التي طُرِحت في البحث على منهجيّة الحشود العسكريّة نصل إلى مصاديق عديدة، فمثلاً عندما نقنِّن للامتيازات

---

١) وهذه المسألة ناظرة إلى بناء الجزء بالتوجّه إليه مباشرة، على أنّ بناء هذا الجزء قد يكون وسيلة فاعلة لبناء الكلّ .

التي ينالها صاحب مرتبة عسكرية معيّنة وتلك التي ينالها مَن هو أدنى منه، أو نقنّن لطبيعة العلاقة بين صاحب المرتبة المعيّنة بمَن هو أدنى منه، فإننا في جميع ذلك يجب أن نلحظ المنهج الإسلامي، الذي يتناسب مع ما أراده الإسلام للفرد من خصال -كالتواضع- ومع ما نبذه من خصال -كالعجب والتكبر والغرور والأنانية والذلّ-، لا أن نأمر بالتواضع وننهى عن المتكبر، ثم نقيّدهم بمنهج دخيل يؤسّس لخلاف ما نريده .

تحذير من عمليّتين

ومن هنا كان من الضروري أن نحذّر من عمليّتين:

الأولى: عمليّة بناء الجيوش العسكرية الإسلاميّة عبر إستيراد المناهج العسكرية السقيمة وتطبيقها على المسلمين، سواء كانت هذه العمليّة بشكل مباشر، أو غير مباشر.

والثانية: عمليّة إستبدال الجيوش التي أسسها أصحاب المناهج الشيطانية بأخرى صالحة عبر إستبدال الأفراد فقط؛ فعلى من يروم إستبدال تلك الجيوش بأخرى صالحة أنْ لا يقتصر على تغيير عناصر تلك الجيوش بعناصر صالحة دون المساس بأنظمتها، لأن منهجيّة تلك الجيوش وانظمتها قد تؤدّي الى إسقام جزء كبير من عناصره الصالحة، لذا فينبغي عليه ان يستبدل العناصر والمنهج.

النتيجة

والنتيجة هي أنّ بناء حشود ظافرة على منهج الإمام الحسين عليه السلام

-الذي هو منهج الله و رسوله- يتطلّب أن يتشرَّب المنهج الإسلامي في جميع مفاصل تلك الحشود:

- **في أساليب تثقيفها وإصلاحها**
- **وفي أنظمة مُجازاتها**
- **وفي أساليب إدارتها**
- **وفي رسم هيكليتها واختيار قادتها**
- **وفي أسلوب التعاطي بين أفرادها وقادتها**
- **وفي الأساليب التي تُتّخذ لتمييز أفرادها بحسب وظائفهم .**

وهكذا وهلم جرّاً، فكلُّ هذه الأمور لها مدخليّة في البناء والتزكية .